وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

فلما غنم النبي ﷺ أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم، ثم قال ﷺ: **" إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبين المهاجرين، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة في أموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم "**، فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت أنفسهم ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يقدّمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ أي: حاجة وفقر ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: من كفاه الله حرص نفسه وبخلها فأدّى ما أوجبه الشرع عليه في مال من زكاة أو حق فقد فاز ونجح، ولم يفز من بخل بذلك وشحت به نفسه.

﴿١٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الذين يحبون السابقين من المهاجرين والأنصار ويستغفرون لهم، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: غشًا وبغضًا وحسدًا، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أوليًا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن وَجَدَ في قلبه لهم غلاً؛ كالرافضة، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ وليس له في الفيء حق، وكذلك من سبَّهم أو آذاهم أو تنقصهم.

﴿١١﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ هم عبد الله بن أبيّ وأصحابه، بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنّعوا فإننا لا نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ أي: لنخرجن من ديارنا في صحبتكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ﴾ أي: في شأنكم، ومن أجلكم ﴿أَحَدٗا﴾ ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم ﴿أَبَدٗا﴾ وإن طال الزمان ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ على عدوّكم، ثم كذبهم سبحانه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم.

﴿١٢﴾ ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ﴾ وقد كان الأمر كذلك، فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود، وهم بنو النضير ومن معهم، ولم ينصروا من قتلوا من اليهود، وهم بنو قريظة وأهل خيبر ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك، بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم.

﴿١٣﴾ ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لأنتم يا معاشر المسلمين أشد خوفا وخشية في صدور المنافقين، أو صدور اليهود، من رهبة الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ ولو كان لهم فقهٌ لعلموا أن الله سبحانه هو الذي سلطكم عليهم، فهو أحقّ بالرهبة منكم.

﴿١٤﴾ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا﴾ مجتمعين لقتالكم ﴿إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي: في الدروب والدور ﴿أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ﴾ أي: من خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ﴾ أي: بعضهم غليظ فظ على بعض ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ أي: إن اجتماعهم إنما هو في الظاهر، مع تخالف قلوبهم في الباطن، مختلفة آراؤهم وأهواؤهم. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ ولو عقلوا لعرفوا الحقّ واتبعوه فتوحدوا ولم يختلفوا.

(١٥) ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من كفار المشركين ﴿قَرِيبًا﴾ يعني: في زمن قريب ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: سوء عاقبة كفرهم، في الدنيا بقتلهم يوم بدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر.

(١٦) ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ أي: مَثَلُهم في تخاذلهم وعدم تناصرهم، كمثل الشيطان للإنسان، أغراه بالكفر وزينه له وحمله عليه ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ أي: فلما كفر الإنسان مطاوعة للشيطان وقبولاً لتزيينه، قال الشيطان: إني بريء منك ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا من قول الشيطان على وجه التبري من الإنسان.

(١٨) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: لتنظر أيّ شيء قدّمت من الأعمال ليوم القيامة.

(١٩) ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: تركوا أمره، ولم يبالوا بطاعته ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له، فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من العذاب، وقيل: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله.

(٢٠) ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: الظافرون بكلّ مطلوب، الناجون من كلّ مكروه.

(٢١) ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: بلغ من شأنه وعظمته وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب؛ أنه لو أُنزل على جبل من الجبال لرأيته [مع كونه في غاية القسوة وشدّة الصلابة وضخامة الجرم] متشققا من خشية الله، حذرًا من عقابه، وخوفًا من أن لا يؤدّي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ، وينزجروا بالزواجر.

(٢٢) ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: هو عالم ما غاب عن الإحساس، وأما ما حضر فهو مرئي بالعيون.

(٢٣) ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره للتأكيد والتقرير ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ أي: الطاهر من كل عيب المنزّه عن كلّ نقص، وقيل: معناه الذي سلم الخلق من ظلمه ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ أي: الذي وهب لعباده الأمن من الظلم، وقيل: المصدّق لرسله بإظهار المعجزات،

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)﴾

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ أي: الشهيد على عباده بأعمالهم، الرقيب عليهم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ القاهر الغالب غير المغلوب ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ جبروت الله عظمته، وقيل: الجبار الذي لا تطاق سطوته ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي تكبر عن كل نقص، وتعظم عما لا يليق به، والكبرياء في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذمّ.

(٢٤) ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ أي: المقدّر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ أي: المنشئ المخترع للأشياء الموجد لها ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: الموجد للصور المركب لها على هيئات مختلفة ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ينطق بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما فيهما.

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبيّ ﷺ إليهم، في غزوة فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، والآية تدلّ على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: توصلون